Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 11 | Page 346 – 367 |2025 https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Educational Thought in the Works of Abu Bakr Abdullah ibn Muhammad al-Qurashi, Known as Ibn Abi al-Dunya (d. 281 AH)

Hamid Saif Qasim Thabet Al-Qadri[*]
[1]Department of Educational and Psychological Sciences -Faculty of Education, Al-Mahweet - Sana'a University, Sana'a, Yemen.
***Corresponding author:** *dr.alqadri2@gmail.com*

Keywords

1. Education
2. Educational Concepts
3. Educational Thought
4. Ibn Abi al-Dunya

Abstract:

This study aimed to introduce Ibn Abi al-Dunya and highlight his scholarly standing, while identifying key educational concepts embedded within select works of his that are related to education. The researcher used the descriptive method based on analysis and deduction. The study yielded several conclusions, the most significant of which is that the Muslim Ummah possesses an authentic educational philosophy that is suitable for all times and places. This indigenous thought negates the need to import Western educational theories and ideas that may conflict with the core principles of Islam. The findings also indicate that al-Hafiz Ibn Abi al-Dunya was one of the early scholars of the Muslim community who devoted their lives to the call to Allah Almighty, the reform of the Ummah, and the dissemination of Islamic teachings and rulings. His concept of education is rooted in an authentic Islamic worldview centered on the purification of the human soul through perfecting faith and moral character. In light of these conclusions, the study recommends a return to the sources of Islamic educational thought as represented in the scholarly contributions of Muslim scholars throughout history. It also calls for the extraction of these original educational ideas from their scholarly works, as well as the need to diversify educational methods used in raising children within our institutions. Such diversity should align with the intended educational objectives and with the characteristics and developmental needs of children, in order to realize the sound upbringing of the human being whom God intended to be His vicegerent on Earth.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 11 | Page 347 – 3 | 2025 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

مضامين الفكر التربوي عند أبي بكر عبدالله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، (ت281هـ)

حميد سيف قاسم ثابت القادري [1]*،

[1]قسم العلوم التربوية والنفسية ، كلية التربية المحويت - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

***المؤلف:** dr.alqadri2@gmail.com*

الكلمات المفتاحية

1. تربية
2. مضامين
3. فكر تربوي
4. ابن أبي

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بابن أبي الدنيا ومكانته العلمية، وبيان أهم المضامين التربوية التي حوتها بعض مؤلفاته العلمية ذات الصلة بالتربية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط، وخلصت الدراسة إلى استنتاجات عديدة، من أهمها: أن للأمة المسلمة فكرًا تربويًا أصيلًا، صالحًا لكل زمان ومكان، يغنيها عن استيراد أفكار ونظريات تربوية غربية تتناقض مع مبادئ وتعاليم دينها الإسلامي القويم، وأن الحافظ ابن أبي الدنيا من علماء الأمة السلف الذين كرسوا حياتهم في سبيل الدعوة إلى الله ، وإصلاح الأمة، ونشر تعاليم وأحكام الإسلام، وأن مفهوم التربية عنده ينبثق من تلك النظرة الإسلامية الأصيلة التي تقوم على تزكية النفس الإنسانية بكمال الإيمان والأخلاق. وفي ضوء هذه الاستنتاجات فقد أوصت الدراسة بضرورة العودة إلى منابع الفكر التربوي الإسلامي ممثلًا بجهود علماء الأمة عبر مراحل تاريخها؛ لاستخراج تلك الأفكار والآراء التربوية الأصيلة التي دونوها في مؤلفاتهم العلمية، وضرورة التنوع في أساليب تربية الأبناء في مؤسساتنا التربوية، بما يتناسب مع الهدف التربوي المنشود، وخصائص وسمات هؤلاء الأبناء؛ كي تتحقق التربية السليمة لهذا الإنسان الذي أراده الله أن يكون خليفته في أرضه.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدًاﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ثم أما بعد:

تتميز التربية الإسلامية عن غيرها من الأنظمة التربوية الغربية بأنها تنبع من الإيمان بالله، اقتضاء بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 110)، فتجمع بين الصفة المثالية الربانية الواردة في القرآن الكريم، والصفة التطبيقية المتمثلة في سنة الرسول الكريم محمد ﷺ، تربية تحدد أهداف هذا الإنسان في هذا الوجود، فتقوم على تزكية النفس الإنسانية لتستدل على وجود الخالق، وعلى أن هذه الحياة التي نعيشها إنما جعلها الله دار عمل وامتحان للوصول إلى الدار الآخرة حيث الثواب والعقاب.

ولقد ظلت التربية الإسلامية تشق مسيرتها في الحفاظ على بناء وتنمية الفرد المسلم المؤمن، بدءًا من عهد المصطفى محمد ﷺ الذي أرسى دعائمها وأسس قواعدها الأصيلة، مرورًا بجهود أصحابه الخلفاء الراشدين الذين واصلوا مسيرة البناء والتكوين والتأسيس لهذه التربية، وانتهاءً بجهود علماء، وفقهاء الأمة في مشارقها ومغاربها الذين أسهموا في نضج وازدهار وتطوير التربية بجميع أبعادها ومضامينها، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم (الكيلاني، 1985).

وفي خضم تلك المسيرة المباركة التي مرت بها التربية الإسلامية من بناء وتطور، فقد برزت في مواجهتها العديد من الأفكار والفلسفات، والمعتقدات الهدامة التي حاولت النيل من مكانتها وأهميتها؛ بل والتخريب والتشويش على أهدافها، اقتضاء بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: جزء من الآية 217)، حتى قيض الله من بين أبناء هذه الأمة من يسخر كل جهده ووقته وإمكانياته في سبيل التصدي لتلك الأفكار والفلسفات والمعتقدات والحملات الهدامة، فحافظوا على هوية هذه التربية الإسلامية بكل أبعادها ومضامينها، فألفوا الكتب، والمصنفات التي تحوي في ثناياها أسس وقواعد ومعالم التراث التربوي الإسلامي الأصيل.

لكن ومنذ بداية حملات الغزو والاحتلال الغربي لمعظم الدول الإسلامية، وتغلل الغرب في معظم جوانب الحياة، بما في ذلك التربية والتعليم، فقد تسرب الإهمال إلى التربية الإسلامية، وبدأت حملات التخريب تطالها بكل الوسائل والسبل المتاحة لديهم؛ فانحرفت بوصلة التربية عن اتجاهها، وفقدت حضورها وفاعليتها، الأمر الذي يستدعي بناء نظرية تربوية إسلامية أصيلة وفقًا لمنهج الله القديم.

مشكلة الدراسة:

إن واقع تربية الفرد المسلم اليوم، وما يعانيه من مشكلات، وما يعتريه من ضعف وانحراف عن غايات وأهداف ومقاصد التربية الإسلامية، إنما هو دليل على الحالة التي وصلت إليها حالة الإهمال والتخريب للتربية ومؤسساتها التربوية، واقع يكرس الانهزامية

والانبهار بالتربية والأنظمة التربوية الغربية، والترويج لتلك المفاهيم التربوية المادية المنحرفة، والدعوة إلى التغريب (حجازي، 1995)، واستيراد أنظمة تربوية بفلسفات وضعية إلحادية تقوم على "فصل الدين عن الدولة والروح عن الجسد، والفرد عن الجماعة" (الجمالي، 1979، 249)، أنظمة تربوية منحرفة، تمسخ الفطرة والهوية الإنسانية (النحلاوي، 1995).

وإن من مظاهر التغريب في مجال التربية هو صياغة مناهج تعليمية وتربوية ذات أبعاد فلسفية وأخلاقية واجتماعية غربية المنشأ والهوى والهوية، تتعارض وتتناقض مع مبادئ وغايات وأهداف المنهج الإسلامي وتربيته الإسلامية الأصيلة، فضعفت المخرجات التعليمية، وتخلخلت منظومة القيم الأخلاقية، وضعفت العلاقات الاجتماعية، حتى طال هذا التخريب والخلل كل عناصر العملية التربوية التعليمية، من أهداف، ومحتوى، ومعلم، ومتعلم، وطرائق ووسائل تدريس وتقويم، فصدق بذلك قول القائل: "وماذا أقول وكل ذي بصيرة يعلم أن الكلام لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح، وإن القضية في غنى عن المقدمات الطويلة ... ومن هنا أقولها وبصراحة واطمئنان: إن حال التربية في المدارس كما يعرف الجميع هزال وهزيل، وما يجنيه المتعلمون على أيدي أهل الخبرة هؤلاء، لا يروي الظمأ، ولا يشفي العليل" (قورة، 1990، 90-91).

ولذا يرى الباحث أنه قد حان الوقت للكشف عن التراث التربوي الإسلامي، ودراسة "الآراء التربوية التي جاءت في مؤلفات الكتّاب والفلاسفة والأئمة المسلمين والعرب، تلك الآراء التي يتضح من دراستها مدى قيمتها، ومدى اتفاقها مع المذاهب الفلسفية، والتقاليد الاجتماعية السائدة في العصور الإسلامية والتي تدل على فطنة هؤلاء الكتّاب، وسعة آفاقهم، وعمق معرفتهم للطبيعة البشرية، ونفسية المتعلمين" (صيداوي، 1981، 200)، وذلك بصياغة منهج تربوي إسلامي أصيل، يبدأ من التعليم الأساسي، مرورًا بالتعليم الثانوي، وانتهاءً بالتعليم الجامعي.

ولذلك فإن هذه الدراسة تعد محاولة جادة في سبيل بناء نظرية تربوية إسلامية متكاملة، من خلال الوقوف على أهم المضامين التربوية عند ابن أبي الدنيا، التي حوتها بعض مؤلفاته العلمية ذات الصلة بالتربية، حيث إن للتربية الإسلامية أعلامها ورجالها الذين سطر التاريخ سيرتهم، وعطاءهم، ومن هؤلاء الأعلام ابن أبي الدنيا، فنحن بحاجة إلى معرفة هذه السيرة، فكل علم من أعلام هذه التربية يعد أنموذجًا فذًا، يجعل من دراسة سيرته وفكره التربوي ضرورة ملحة في سبيل مواجهة هذا الواقع التربوي المتردي.

تساؤلات الدراسة:

بناء على ما سبق ذكره؛ فإن هذه الدراسة تنطلق من خلال الإجابة عن سؤالها الرئيس الذي يمكن صياغته على النحو الآتي:

ما أهم مضامين الفكر التربوي عند أبي بكر عبدالله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا؟ وللإجابة عن هذا التساؤل فإن الأمر يتطلب الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

- من هو ابن أبي الدنيا، وما مكانته العلمية في التراث الإسلامي؟
- ما مفهوم التربية في فكر ابن أبي الدنيا؟

- ما أهمية التربية وخصائصها في فكر ابن أبي الدنيا؟
- ما أهم الأساليب والجوانب التربوية في فكر ابن أبي الدنيا؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- التعريف بابن أبي الدنيا ومكانته العلمية في التراث الإسلامي.
- بيان مفهوم التربية في فكر ابن أبي الدنيا.
- إبراز أهمية التربية، وأهم خصائصها في فكر ابن أبي الدنيا.
- إبرار أهم الأساليب والجوانب التربوية في فكر ابن أبي الدنيا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. محاولتها البرهنة على أن لهذه الأمة المسلمة فكرًا تربويًا أصيلًا، صالحًا لكل زمان ومكان؛ يغنيها عن استيراد أفكار ونظريات تربوية غربية تتناقض مع مبادئ وتعاليم دينها الإسلامي القويم.
2. محاولتها التعريف بعلم من أعلام التربية الإسلامية، الذين كان لهم جهود علمية وتربوية ساهمت في تأصيل مفهوم التربية الإسلامية وأهدافها وفي الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية، والحيلولة دون فقدانها، والانسلاخ منها.
3. محاولتها في استخراج الأفكار والآراء التربوية الإسلامية لابن أبي الدنيا، التي تشكل في معظمها بعض أبعاد النظرية التربوية الإسلامية التي نحن بحاجة إليها في تأصيل التربية.
4. محاولتها الجادة في تقديم الأنموذج التطبيقي لمنهج التربية الأصيل، القائم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهر، كما أظهرته أفكار وآراء ابن أبي الدنيا التربوية في مضامين مؤلفاته.
5. محاولتها الجادة في توجيه مؤسسات التربية والتعليم القائمة للاسترشاد بتلك الإسهامات والجهود التي قام بها ابن أبي الدنيا في مجال التربية والتعليم.
6. محاولتها الجادة في تقديم الرؤية الواقعية لتجديد وتطوير الفكر التربوي الإسلامي، بما يتناسب مع تحديات المرحلة الراهنة، من خلال دراسة حركة الفكر التربوي الإسلامي المتمثل بأعلامه ومفكريه.
7. محاولتها الجادة في تقديم الحلول العملية لتجاوز الأزمات والمشكلات التي تعاني منها مؤسسات التربية والتعليم، والناجمة عن اعتمادها على الأفكار والنظريات التربوية الغربية.

حدود الدراسة:

تكمن حدود الدراسة في الحدود الموضوعية، التي هي: بيان أهم مضامين الفكر التربوي عند ابن أبي الدنيا، من خلال دراسة وتحليل بعض مؤلفاته العلمية، خاصة تلك التي لها صلة بالتربية.

مصطلحات الدراسة:

- **المضامين:** جاء في **اللغة** أن المضمون من الفعل "ضمن"، والمضامين: ما في بطون الحوامل

من كل شيء كأنهن تضمنه، وقال أبو عبيدة: المضامين هي ما في أصلاب الفحول، وهي جمع مضمون، ويقال ضمن الشيء بمعنى تضمنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا (ابن منظور، د.ت، 258/13)، وفي **الاصطلاح** تعرف بأنها "كافة المغازي والأنماط والأفكار والقيم والممارسات التربوية التي تتم من خلال العملية التربوية لتنشئة الأجيال المختلفة عليها تحقيقًا للأهداف التربوية المرغوب فيها" (الغامدي، 1401هـ، 40).

و**تعرف إجرائياً**، بأنها: كل ما أمكن استنباطه من المفاهيم والمعاني والأساليب والجوانب والدلالات التربوية من مؤلفات ابن أبي الدنيا التي تكون أساسًا في بناء وتنمية شخصية الفرد المسلم كما أراده الله تعالى في ذلك.

- **الفكر**: الفكر **في اللغة**، مشتق من "فكر"، ويعني: "إعمال الخاطر في الشيء"، والفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في الأمور المعنوية، وهو فرك الأمور، وبحثها للوصول إلى حقيقتها، كما يعني: "تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر، إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجل فكير: كثير الفكر (ابن منظور؛ مرجع سابق، 65/5؛ وأنيس وآخرون، 1972، 698؛ وابن فارس، 1979، 446/4)، **أما في الاصطلاح**، فيعرف بأنه "عملية عقلية، يقوم بها الإنسان من أجل حل مشكلة من المشكلات التي تواجهه في حياته اليومية" (إسماعيل، 2005، 81)، كما يعرف بأنه "البحث عن التعميم النظري الذي يكمن وراء حركتنا وسياستنا التعليمية) (الرشدان، 2004، 14).

أما تعريفه إجرائيًا، فهو: مجمل الأفكار والآراء التي تألف النظرية الواحدة لابن أبي الدنيا حول تربية الإنسان المسلم المؤمن، والتي دونها في مؤلفاته، بحيث تصبح مرجعًا مهمًا في بناء وتطوير النظرية التربوية الإسلامية.

- **التـربية**: التربية في **اللغة** لها ثلاثة جذور لغوية هي: "ربا، وربي، وربّ" التي تعني جميعها: الزيادة والنمو والنشأة والترعرع، وإصلاح الشيء وتولي أمره ورعايته (ابن منظور، د.ت، مادة ربّ). أما في **الاصطلاح**: فلها تعريفات متعددة بعدد الفلسفات والنظريات التربوية التي لا يتسع المقام هنا لسردها، وأهمها أنها تعني: "إنشاء الشيء حالًا فحالًا حتى التمام" (الراغب الأصفهاني، 1430هـ، 336؛ والبيضاوي، 1408هـ، 1/ 28).

وتعرف إجرائياً، بأنها: عملية إعداد الإنسان الصالح المصلح، من خلال بناء جميع جوانبه المتعددة: الإيمانية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والعقلية والجسمية، بناءً شاملًا وكاملًا ومتوازنًا؛ وذلك وفق منهج الله، والمتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

الدراسات السابقة:

بداية يمكن التأكيد – بحسب حدود اطلاع وعلم الباحث – على أن هناك العديد من الدراسات العلمية المتعلقة باستنباط مضامين تربوية من مؤلفات وجهود علماء المسلمين في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، لكن ورغم ذلك فإن الباحث لم يقف على أي بحث،

أو رسالة علمية قد تطرقت إلى موضوع دراسة مضامين الفكر التربوي عند ابن أبي الدنيا، باستثناء دراسة واحدة نبينها على النحو الآتي:

- **دراسة حميدات (1998)، بعنوان** "الجوانب التربوية في كتاب العيال لابن أبي الدنيا"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الجوانب التربوية التي تضمنها كتاب "العيال"، وما تضمنه من الآداب الأسرية، والعلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي القائم على التحليل، وخلصت الدراسة إلى نتائج عدة، من أهمها: أهمية اتخاذ التعاليم الإسلامية دستورًا للحياة الأسرية، لتكون التربية إسلامية، وأنه لا بد من تحقيق الكفاءة بين الزوجين لإنجاح الحياة الزوجية، وديمومتها، وأن الأيتام جزء من المجتمع الإسلامي فيجب العناية بهم لفقدهم الأصول، وأن تربية الأولاد مسؤولية الزوجين وليست مسؤولية الأم وحدها.

أوجه الاتفاق والاختلاف مع الدراسة السابقة:

- **اتفقت الدراسة** السابقة مع هذه الدراسة في الغاية منها، وهي استنباط مضامين تربوية من خلال مؤلفات العلماء، والتطبيقات التربوية لتلك المضامين المستنبطة، و-أيضًا- في استخدام المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي، ولذلك فقد تمت الاستفادة من الدراسة السابقة في تحديد مشكلة الدراسة من خلال صياغتها بتساؤل رئيس وتساؤلات فرعية، وصياغة أهداف الدراسة، و-أيضًا- في الكيفية التي يتم بها عملية صياغة واستنباط تلك المضامين التربوية من مؤلفات العلماء.
- **اختلفت الدراسة السابقة** مع هذه الدراسة في الحدود الموضوعية للدراسة، فهذه الدراسة موضوع بحثها هو مضامين الفكر التربوي عند ابن أبي الدنيا من بعض مؤلفاته ذات الصلة بالتربية، بينما كانت الدراسة السابقة تبحث بعض الجوانب التربوية، وتحديدًا جانب التربية الأسرية لابن أبي الدنيا في مؤلف واحد وهو كتاب "العيال"، حيث إن كلمة مضامين تربوية تشمل (المفاهيم، المبادئ والقيم والأساليب والجوانب التربوية)، وسيرد لاحقاً بيان لمفهوم المضامين عند الحديث عن مصطلحات الدراسة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

استخدم الباحث في دراسته المنهجين الآتيين:

1. **المنهج الوصفي التحليلي:** وذلك من خلال نقد وتحليل الأفكار الواردة في ثنايا بعض مؤلفات ابن أبي الدنيا التي لها صلة بالتربية، والتي من شأنها الوصول إلى تفسير علمي يخدم أهداف الدراسة، وصولًا إلى استنباط وتحليل المضامين التربوية في جوانبها المتعددة عند ابن أبي الدنيا.
2. **المنهج الاستنباطي:** الذي يعرف في المجال التربوي بأنه "الطريقة التي يقوم من خلالها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (فودة وعبدالله، 1410هـ، 42)؛ لذا قام الباحث بدراسة نصوص بعض من مؤلفات ابن أبي الدنيا ذات الصلة بالتربية، ومن ثم استنباط أهم مضامين الفكر التربوي فيها، وتطبيقاتها التربوية، مع التنبيه إلى أن الباحث لم يقم بتخريج الأحاديث بمفهومها الشامل، أي

المرفوعة، والموقوفة والمقطوعة (أقوال النبي والصحابة والتابعين)، التي أوردها واقتبسها من مؤلفات ابن أبي الدنيا؛ لأن ذلك ليس من أهداف الدراسة، ولأنه قد تم تخريج تلك الأحاديث من قِبل محققي تلك المؤلفات.

نتائج الدراسة ومناقشتها (عرض المباحث والمطالب لمحتوى الدراسة) :

المبحث الأول: ترجمته الشخصية وآثاره العلمية:

المطلب الأول: مولده ونشأته:

أولًا: اسمه ونسبه: هو أبو بكر، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، مولى بني أمية؛ البغدادي، المؤدب، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، فارس علم الزهد والرقائق (الذهبي، 1402هـ، 397/13)،

ثانيًا: مولده: ولد ببغداد في أوائل القرن الثالث الهجري، سنة (208هـ) ثمان ومائتين، في عهد الخليفة المأمون، آخر العصر العباسي الأول، في عهد الحضارة الإسلامية الذهبي؛ نشطت حركة التراجم والإبداع الأدبي، وكان هذا عامل رئيس في بلورة فكر ابن أبي الدنيا وتهذيبه (الذهبي، مرجع سابق، 397/13؛ والخطيب البغدادي، 1349هـ، 89/10-91؛ وابن أبي العلى، 1952، 192/1).

ثالثًا: نشأته: نشأ ابن أبي الدنيا في أسرة علم وفضل وأدب، فأبوه محدث، ولذلك عني بابنه فدفعه إلى أهل العلم، فتعلم القرآن الكريم والحديث النبوي، والسيرة واللغة ولأدب والفقه (ابن حجر العسقلاني، 1970، 13/6)، حتى أضحى من علماء عصره الذين أخذوا بالعلم والزهد منهجًا في حياتهم، فقد قيل عنه: "كان ورعًا زاهدًا عالمًا بالأخبار والمرويات" (ابن النديم، 2002، 321).

رابعًا: طلبه للعلم: كان للزخم العلمي الكبير الذي شهده عصر ابن أبي الدنيا أثرًا مهمًا في دفعه لطلب العلم، فقد كان طلب ابن أبي الدنيا للعلم مبكرًا وهو في سن دون العاشرة، وسعى للتتلمذ على أيدي أفضل وخيرة علماء عصره، مثل أحمد بن حنبل، أضف إلى ذلك حفاوة أسرته به وتشجيعهم إياه كل هذه العوامل ساعدت ابن أبي الدنيا على أن يتحمل العلم الوافر والغزير، حيث استطاع أن يدرك إسنادًا عاليًا وله من المؤلفات الكثير وفي معظم أنواع العلوم (السمعاني، 1408هـ، 472/4)

خامسًا: شيوخه: لقد تتلمذ ابن أبي الدنيا على يد كثير من خيرة علماء عصره، في مقدمتهم، والده محمد بن عبيد بن سفيان، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي (الذهبي، مرجع سابق، 397/13-405).

سادسًا: ثقافته: لقد تنوعت وتعددت ثقافة ابن أبي الدنيا؛ وذلك نظرًا لتعدد مصادر معارفه، فقد برع في فنون كثيرة، فكان حافظًا بارعًا، ومحدثًا جهبذًا، وفقيهًا عارفًا، ومؤرخًا جامعًا، وكان مكثرًا من رواية الشعر، لغويًا متمكنًا، من العربية، وكان ذا اهتمام بالقراءات، فارسًا في علم الزهد والرقائق (السمعاني، مرجع سابق، 471/4).

سابعًا: رحلاته العلمية: لا توجد لابن أبي الدنيا سيرة تذكر عن رحلاته، وهذا يبدو من خلال سيرته، فقد قال عنه الذهبي: "إنه كان قليل الرحلة، فلم يرحل

خارج بغداد، إلا لأداء فريضة الحج، وكان معظم سماعه في بغداد وأكثر من روايته عن مشايخ البصرة والكوفة والموصل، أي شيوخ بلاد الرافدين" (السمعاني، مرجع سابق، 474/4).

ثامنًا: آثاره ومؤلفاته العلمية: لقد ألف ابن أبي الدنيا مؤلفات وتصانيف كثيرة، قيل إنها وصلت إلى ما يربو عن (164)، مصنفًا، وقيل إنها بلغت (202) (ابن أبي الدنيا، 1407هـ، 24)، سارت بها الركبان، ووزعت بين صنوف العلوم المختلفة حسب (الذهبي، مرجع سابق، 401/13-404):

- **الآداب والأخلاق الإسلامية:** وتضم كتب: "مكارم الأخلاق"، "العيال"، "العقل وفضله"، "الصمت وأدب اللسان"، "الجيران"، "العفو"، "ذم الدنيا"، "الشكر"، "التقوى"، "حسن الظن بالله"، "التوكل على الله"، "الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره"، "إصلاح المال"، "الحلم"، "الزهد".
- **التاريخ والسير:** وتضمن كتب: "أخبار قريش"، "الدلائل النبوية"، "المغازي"، "مواعظ الخلفاء"، "حلم الحكماء"، "التاريخ"، "تاريخ الخلفاء"، "أخبار الملوك"، وغيرها.
- **الفقه والأحكام:** وتضمن كتب: "الجهاد"، "العقوبات"، "الفتوى"، "السنة"، "الصدقة"، "المناسك"، "القصاص"، "الرهائن"، وغيرها.
- **مؤلفات أخرى:** وتضمنت كتب: "اليقين"، "مجابو الدعوة"، "اصطناع المعروف"، "الفرج بعد الشدة"، "الإشراف"، "قصر الأمل"، "الوجل"، وغيرها.

تاسعًا: وفاته: توفي ابن أبي الدنيا (رحمه الله تعالى)، في جمادى الأولى سنة (281هـ)، إحدى وثمانين ومائتين (الخطيب البغدادي، مرجع سابق، 91/10؛ والذهبي، مرجع سابق، 404/13)

المطلب الثاني: آثاره الاجتماعية:

أولًا: الآثار التربوية: فقد كان لابن أبي الدنيا أثر واضح في التربية والتعليم، من خلال قيامه بتربية وتعليم أولاد الخلفاء الذين هم في طليعة أفراد المجتمع، وممن سيتولون مقاليد أمور المسلمين فصلاحهم صلاح للبلاد والعباد، و-أيضًا- في تدريسه وتعليمه لطلبة العلم عامة، الذين تخرجوا على يديه، فأصبحوا من أفراد الأمة الذين أغنوها علمًا وصلاحًا.

ثانيًا: الآثار الثقافية والعلمية: حيث أسهم ابن أبي الدنيا في إصلاح الأمة، ودعوتها إلى الاستقامة على هذا الدين، عن طريق التأليف والتصنيف مقتفيًا أثر شيخه الإمام أحمد بن حنبل، ومن قبله عبدالله بن المبارك، وسفيان الثوروي، حيث ألف في التربية والزهد والرقائق، مؤلفات عديدة، وصفها الحافظ ابن كثير بقوله: "المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها، وهي تزيد على مائة مصنف، وقيل: إنها نحو الثلاثمائة مصنف" (ابن كثير، د. ت، 11 /71).

ثالثًا: النصح والبيان: فقد كان ابن أبي الدنيا شديد الحرص على سلامة وتماسك ووحدة المسلمين، حيث وجههم إلى عدوهم وعدو أبيهم آدم عليه السلام، الشيطان ومزالقه، فقام بتأليف العديد من المصنفات العلمية في سبيل ذلك، شملت ميدان الأخلاق والتربية والإصلاح، وعلى رأسها، كتاب "مكائد الشيطان"، وكتاب "الصمت وأدب اللسان"، وقد كان ابن أبي الدنيا مربيًا مع كونه عالمًا قدم بتصانيفه نصيحة الأمة، والأخذ بيدها، لا

لمجرد التصنيف فحسب، فكانت مصنفاته هادفة، واستمر أبو بكر ابن أبي الدنيا مؤدبًا لرسالته إلى آخر حياته، وظل يبث العلم ويتصدر لتدريسه وقد جاوز السبعين من عمره (السمعاني، مرجع سابق، 472/4).

المبحث الثاني: مفهوم التربية عند ابن أبي الدنيا:

قبل الولوج في مناقشة المضامين التربوية في فكر ابن أبي الدنيا، فإن الأمر يتطلب البدء ببيان مفهوم التربية، وذلك كمدخل لفهم أبعاد وجوانب الموضوع، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف التربية:

بداية تجب الإشارة إلى أن مفردة "التربية" تعد من المفردات الحديثة الاستعمال في المجال التربوي، حيث لم يستعملها العلماء والفقهاء والحكماء السلف، ولم تدون في تراثهم التربوي إلا بالشيء اليسير عند بعضهم، وأن ما كان يتم تداوله في هذا المجال هي مفردة "الأدب"، ومنها اشتق مصطلح "مؤدب"، أي المعلم والمربي، وهذا ما أشير إليه عند تقديم سيرة ابن أبي الدنيا بأنه كان يؤدب المكتفي بالله (ابن النديم، مرجع سابق، 321)، وأنه أدب غير واحد من أولاد الخلفاء، وقال ابن كامل: هو مؤدب المعتضد بالله" (الذهبي، 1418هـ، 2/ 181)، وهذا ما قد يفسر وجود ذلك الكم الهائل من المؤلفات تحت مسمى "الأدب، والآداب"، وليس مسمى "التربية".

ومن خلال تحليل محتوى بعض من مؤلفات ابن أبي الدنيا ذات الصلة بالتربية نجد أن مفهوم التربية لديه يقوم على معانٍ عديدة، تشكل في مجملها المفهوم العام لها، فمن تلك المعاني:

أولًا: الأدب والتأديب: وهو السائد الذي "درج عند العرب المسلمين على عهد رسول الله ﷺ والعصور الإسلامية اللاحقة به، ويطلق على كل من يتولى تربية وتعليم الإنسان سواء عن طريق الوالد، أو الوالدة، أو المعلم، أو ولي أمر المسلمين" (الميمان، 2002، 390)، ويعرف الأدب **بأنه:** "ملكة تقصي من قامت به عن كل ما يشينه، ويقع على كل رياضة محمودة يستخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل وفعل المكارم: الظرف، وحسن التناول وهذا أدب النفس، ودرس العلوم العربية وهذا أدب الدرس ويقال أدبه: علمه الأدب: عاقبه على إساءة: راض أخلاقه" (رضا، د. ت، 152/1)، **كما يعرف بأنه:** "رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، وجملة ما ينبغي لدى الصناعة، أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي، وأدب الكاتب، والجميل من النظم والنثر، وكل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة... والتأديب: التهذيب والمجازاة، ومهمة التأديب، شبه محكمة يراد منه المحافظة على المصلحة العامة، والمؤدب: لقب كان يلقب به من يختار لتربية الناشئ وتعليمه" (أنيس وآخرون، 1972، 1/9-10)، حيث روي عن النبي ﷺ قوله: ((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا نُحْلًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ)) (ابن أبي الدنيا، 1990، 498، حديث رقم 326)، وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في قول الله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ (التحريم: جزء من الآية 6)، أنه قال: ((عَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ)) (المرجع نفسه، 495، حديث رقم 323).

ثانيًا: الرعاية: وهي القيام على حفظ الشيء والعناية به، وهذه من معاني التربية، ومن الرعاية اشتقت كلمة الراعي، والرعية، والمرعى، فقد روي عن النبي ﷺ

قوله: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ)) (المرجع نفسه، 491، حديث رقم 320).

ثالثًا: التعليم: وهو كل ما يتلقاه الإنسان المتعلم من التعاليم والعلوم والمعرفة سواء كان بالدرس أم بالمطالعة للكتب، وأن التعليم لا يتم إلا عن طريق التدريب، والتكرار، والدراسة، وأن تحصيل العلوم يعتمد على أمور ثلاثة:

- الأخذ عن الآخرين بالمراجعة والمطالعة وطريقهما الكتابة وقراءة الكتب.
- التلقي من الأفواه بالدرس والإملاء.
- ما تنقدح به العقول من المستنبطات والمخترعات، وهذان داخلان تحت قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 5) (ابن عاشور، 1984، 441/30)، فقد روي عن سليمان الكلبي قوله: ((... بَلَغَنِي عَنْكَ مَا أُحِبُّ وَإِذَا بَلَغَنِي عَنْ أَحَدٍ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ مِنْ رَغْبَتِي أَسْرَعْتُ إِلَيْهِ بِمَا أَحَبَّ وَاسْتَعَنْتُ بِهِ عَلَى مُهِمِّ أُمُوروي وَإِنَّ مُحَمَّدًا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنِّي بِالْمَكَانِ الَّذِي قَدْ بَلَغَكَ وَهُوَ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَبْلُغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَفْضَلَ مَا بَلَغَ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَدْ وَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَأْدِيبَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَالنَّظَرَ فِيمَا يُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أمره...)) (المرجع نفسه، 521-522، حديث رقم345)

المطلب الثاني: غاية التربية وأهدافها:

مما لا شك فيه أن قيمة الفعل والعمل تكمن في غايته، وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، فقيمة التربية وأهميتها تنبع من تلك الغاية التربية والأهداف العظيمة التي تسعى إلى تحقيقها في المتعلم والمجتمع على حد سواء، فغاية التربية في الإسلام هي تحقيق العبودية لله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، وعمارة الأرض، اقتضاء بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: جزء من الآية 30)، وهذا يستدعي تربية الفرد المؤمن على مكارم الأخلاق.

ولهذا يرى ابن أبي الدنيا أن تحقيق العبودية لله ﷻ، وعمارة الأرض، يستلزم تطهيرُ النفس من مساوئ الأقوالِ والأعمال والأخلاق والأوصاف، وترقيتُها وتنميتُها بالأمور الحسنة، والخِصال الفاضلةِ، والخِلال الخيرة، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا)) (ابن أبي الدنيا، 1989، 10، حديث رقم6)، وقوله ﷺ: ((كَرَمُ الْمَرْءِ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ)) (المرجع نفسه، 3، حديث رقم1)، وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ ﷺ: ((أَتْقَاهُمْ)) ((المرجع نفسه، 5، حديث رقم2)، ويُسند إلى يحيى بن أبي كثير قوله: ((كَانَ يُقَالُ: مَا أَكْرَمَ الْعِبَادُ أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا أَهَانَ الْعِبَادُ أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (المرجع نفسه، 55، حديث رقم64)، وروي عن زيد بن أسلم قوله: ((خَلَّتَانِ مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْكَرَمَ إِلَّا فِيهِمَا فَكَذِّبْهُ، إِكْرَامُكَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِكْرَامُكَ نَفْسَكَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (المرجع نفسه، 56، حديث رقم65)، ولتحقيق هذه الغاية يرى ابن أبي الدنيا ضرورة تحقيق الأهداف التربوية الآتية:

أولًا: الاهتداء بالقرآن الكريم وإقامة أحكامه: ولذلك فقد أفرد ابن أبي الدنيا أبوابًا مستقلة للعناية بالقرآن، حيث جعل له "باب تعليم الأصاغر القرآن"، حيث

روي عن النبي ﷺ قوله: ((مَنْ عَلَّمَ وَلَدًا لَهُ الْقُرْآنَ قَلَّدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقِلَادَةٍ يَعْجَبُ مِنْهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 478، حديث رقم307)، وروى عن زبيد قوله: ((كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) (المرجع نفسه، 484، حديث رقم 313)، وأبواب لتعليم أحكامه، ففي تعليم الصلاة، روي عن النبي ﷺ قوله: ((إِذَا بَلَغَ أَوْلَادُكُمْ سَبْعَ سِنِينَ فَمُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا بَلَغُوا عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)) (المرجع نفسه، 465، حديث رقم 295)، وفي الحج، روى عن جابر بن عبدالله أن امرأة رفعت صبيًا لها إلى النبي ﷺ من محفة فقالت يا رسول الله:، ألهذا حج؟، قال النبي ﷺ: ((نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ)) (المرجع نفسه، 845، حديث رقم641).

ثانيًا: الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن سنة المصطفى ﷺ هي المصدر الثاني بعد كتاب الله ﷻ –القرآن الكريم– ، فالرسول ﷺ قد وكل إليه مهمة البيان لما تضمنه القرآن الكريم، اقتضاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: 64)؛ فقد روي عن أبي سعيد ﷺ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) (ابن أبي الدنيا،1990، 57، حديث رقم26)؛ ولذا نرى أن ابن أبي الدنيا قد اعتمد في شرح أفكاره وآرائه على مجموعة من الأحاديث النبوية، بالإضافة إلى المرويات والأخبار عن فقهاء وعلماء وحكماء السلف الصالح التي تأصل لتلك الأفكار والآراء التربوية التي أوردها في مؤلفاته العلمية.

ثالثًا: حصول العلم النافع: فالعلم هو وسيلة لحفظ الدين، ولذلك يرى ابن أبي الدنيا أن من أهداف التربية هو حصول المتعلم على العلم النافع القائم على أحكام الدين وتعاليمه، ولذا فقد وضع له بابًا مستقلًا في كتاب "العيال"، سماه "باب تعليم العلم الأصاغر"، فقد روي عن يزيد بن معمر قوله: ((الْعِلْمُ فِي صِغَرٍ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 800، حديث رقم 599)، وروي عن النبي ﷺ قوله: ((اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالْعِلْمِ، وَزَيِّنِّي بِالْحِلْمِ، وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 19، حديث رقم3)، مما يؤكد حرصه على العلم وأهميته للمتعلم.

المبحث الثالث: أهمية التربية، وخصائصها في فكر ابن أبي الدنيا:

بناء على ما سبق بيانه حول مفهوم التربية عند ابن أبي الدنيا يتبين أن التربية في نظره لها أهمية خاصة، ومكانة عظيمة، و–أيضًا– لها خصائص ومميزات تجعلها تربية فريدة في غاياتها وأهدافها ومبادئها وأساليبها التربوية، وهذا ما نبينه في النقاط الآتية:

المطلب الأول: أهمية التربية:

لقد مثلت التربية قضية مهمة لدى ابن أبي الدنيا، وذلك إيمانًا منه بأهميتها في إصلاح الأمة، حيث روي عن النبي ﷺ قوله: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ تَرَكَ ذُرِّيَّةً مُؤْمِنَةً تَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ بَعْدَهُ إِلَّا أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَبِيهَا مِثْلَ عَمَلِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهَا شَيْئًا)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 611، حديث رقم 429)، وروي عن أوس الأشعري عن أبيه أنه قال: كَانُوا يَقُولُونَ: ((الْأَدَبُ مِنَ الْآبَاءِ وَالصَّلَاحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ)) (ابن أبي الدنيا، المرجع نفسه، 536، حديث رقم357)؛ ولهذا فقد "احتل الحافظ ابن أبي الدنيا مكانة رفيعة في ميدان التربية والتعليم، والتأديب والتثقيف، وكان يتمتع بسمعة رفيعة، جعلت الخلفاء العباسيين –المعاصرين له– يقصدونه من بين الحفاظ والعلماء ويصطفوه أستاذًا ومربيًا ومثقفًا لأولادهم" (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 28/1)، وقد تجلّت أهمية التربية عند ابن أبي الدنيا في جانبين رئيسين، هما:

أولًا: الجانب النظري: وهذا يعني وجود منهج تربوي إسلامي متكامل وشامل، يحقق الغاية والأهداف من العملية التربوية، باعتبار التربية الوسيلة المهمة في تنمية الإنسان الصالح المصلح الذي يحقق الغاية والهدف من وجوده في هذا الوجود؛ ولذلك فقد عمد ابن أبي الدنيا إلى بناء مفاهيم ومعانٍ تؤسس لذلك المنهج التربوي الإسلامي من خلال قيامه بتأليف العديد من المؤلفات العلمية ذات الصلة بالتربية التي مثلت المنهج التربوي الذي يجب على المتعلم أن يتربى من خلاله، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 612، حديث رقم 430).

ثانيًا: الجانب التطبيقي: وقد تجلى ذلك من تصدره هو بنفسه للتربية والتعليم، وتدريس الطلبة في حلقات المسجد، حيث مثل ابن أبي الدنيا القدوة الحسنة للمربي المؤمن الذي كان مدركًا لأهمية التربية في بناء الأمة، وأنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع من خلالها القيام برسالة الدعوة والإصلاح، وإعلاء ونشر كلمة الله ومنهجه القويم.

ولذلك فقد دعا ابن أبي الدنيا إلى الاجتهاد في تربية الأبناء، لأن تربية الأبناء مسؤولية عظيمة، تقع على عاتق كل من أوكل إليه مسؤولية تربية الفرد، وهذا يبدأ من الوالدين اللذين يجب أن يجتهدا في رعاية وتوجيه الأبناء نحو الخير والصلاح، فقد روي عن ابن عمر أنه قال: "قال نبي الله ﷺ: ((لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))، أُرَاهُ قَالَ: ((عَبْدًا رَعِيَّةً))، قُلْتُ: أَوْ كَثُرَتْ إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ أَضَاعَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً" (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 447، حديث رقم 325)، وروي عن ابن عمر أنه قال لرجل: ((يَا هَذَا أَحْسِنْ أَدَبَ ابْنِكَ فَإِنَّكَ مَسْؤولٌ عَنْهُ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ بِرِّكَ)) (ابن أبي الدنيا، المرجع نفسه، 502، حديث رقم329)، فالتربية هي عملية بناء وتنمية الإنسان كي يقوم بواجبه نحو خالقه أولًا، ثم نحو نفسه ومجتمعه ثانيًا، وكما قيل فإن التربية هي من تجعل الإنسان إنسانًا.

المطلب الثاني: خصائص التربية:

إن أهم ما تميز به مفهوم التربية عند ابن أبي الدنيا، أنه مفهوم مبني على نظرة تربوية تستند إلى مصادر الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية)، وجهود العلماء والحكماء، بحيث يصطبغ هذا المفهوم للتربية بخصائص ومميزات هذه الشريعة الإسلامية، وقد لوحظ في ثنايا مؤلفات ابن أبي الدنيا ذات الصلة بالتربية، أن هناك مجموعة من الخصائص والمميزات للتربية التي نوجزها بالآتي:

أولًا: تربية تقوم على مقاصد الشريعة: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن التربية يجب أن تقوم على مقاصد الشريعة الإسلامية، حتى تحقق الغاية والأهداف التي

تسعى إلى تحقيقها في المتعلم؛ لأن أفضل الأعمال هي تلك التي تقوم على مقاصد الدين، ولذا فقد روي عن النبي ﷺ أن رجلًا جاءه يسأله عن أي العمل أفضل؟ قال: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَتَصْدِيقٌ بِرَسُولِهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ))، قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا قَالَ: ((لَا تَتَّهِمْهُ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 55، حديث رقم49)، وما هذا الإيمان بالله والتصديق برسوله، والجهاد في سبيه إلا غاية وأهداف التربية.

ثانيًا: تربية تتسم بالشمول والتكامل: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن التربية السليمة يجب أن تهتم بوحدة الشخصية وتكاملها الإيماني والأخلاقي، والعقلي والجسدي والانفعالي، وتكامل بناء وتنمية جميع جوانب الفرد دون تمييز جانب عن آخر، أو إهمال جانب على حساب الجانب الآخر، فحب الطفل وبناء جانبه العاطفي مطلوب، ولكن ليس على حساب الجوانب الأخرى، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((«أَحَبُّوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 550، حديث رقم327)، بحيث يتم بناء وتنمية المتعلم من جميع جوانبه التربوية بشكل شامل ومتكامل.

ثانيًا: تربية تلتزم الوسطية والاعتدال: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن التربية يجب أن تحقق مبدأ الوسطية والاعتدال، بحيث تحقق التوازن: بين الدنيا والآخرة، وأن يكون الهدف الأساس منها هو الفوز برضا الله تعالى أولًا، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 16، حديث رقم8)، وروي عن عون بن عبدالله أنه قال: ((إن الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم ككفتي الميزان، بقدر ما ترجح إحداهما تخف الأخرى)) (المرجع نفسه، 131، حديث رقم292)، و-أيضًا- التوازن بين مطالب الروح والجسد ثانيًا، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن)) (المرجع نفسه، 130، حديث رقم289).

رابعًا: تربية تمزج بين القول والعمل: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن التربية يجب أن تقوم على مبدأ الإخلاص بالقول والعمل، وذلك بأن تكون تربية عملية واقعية، وأن تكون ماثلة في أفعال وأخلاق المتعلم، وليس مجرد مواعظ ونصائح تتلى في الدرس العملي، فقد روي عن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: جزء من الآية74)، قال: ((فِي الدُّنْيَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ وَلَدِهِ وَزَوْجَتِهِ عَمَلًا صَالِحًا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 608، حديث رقم426)، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: جزء من الآية74)، قال: ((أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ أَنْ يَرَوْنَهُ صَحِيحًا جَمِيلًا وَلَكِنْ أَنْ يَرَوْنَهُ مُطِيعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (المرجع نفسه، 609، حديث رقم427).

المبحث الرابع: أساليب التربية، وجوانبها عند ابن أبي الدنيا:

بناء على تلك الخصائص والمميزات للتربية، فقد تبين أن ابن أبي الدنيا يرى ضرورة وجود أساليب وجوانب تربوية تتلاءم مع هذه التربية الفريدة كي تحقق

غاياتها وأهدافها في تنمية المتعلم، التي نذكر من أهمها الآتي:

المطلب الأول: أساليب التربية:

أولًا: القدوة الحسنة: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن الوالدين هما القدوة الأولى للأبناء، وأن سلوكهما هو المؤثر الأكبر في تربيتهم، فاستقامة الوالدين في سلوكهما وتصرفاتهما ينعكس إيجابًا على تربيتهما لأولادهما في الاستقامة والصلاح، فقد روي عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 48، حديث رقم9)، وأن هذه القدوة تبدأ بقيام الوالد بمسؤولياته تجاه زوجته وأبنائه، فقد روي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه قال: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي نَافِعٍ أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَتَبَ إِلَيَّ: سَمِعْتُهُ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِذَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 160، حديث رقم25)،

ثانيًا: العطف والمحبة: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن أفضل أسلوب في تربية الأبناء بعد القدوة، هو العطف والمحبة لهم، وإحساسهم بالحب وبالحنان؛ فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَبْقَى فِي النَّاسِ بَعْدِي)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 302، حديث رقم146)، كما روي عن زيد بن محمد، عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا لقي ابنه سالمًا قبّله ويقول: ((«شَيْخٌ يُقَبِّلُ شَيْخًا)) (المرجع نفسه، 303، حديث رقم147)، وروي –أيضًا– عن مسلم أبي عبد الله الحنفي، قال: ((بِرَّ وَلَدَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَبَرَّكَ، وَإِنَّهُ مَنْ شَاءَ عَقَّ وَلَدَهُ)) (المرجع نفسه، 305، حديث رقم149)، وروي عن عمران بن عبد الله الخزاعي، قال: قال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((بِرَّ وَالِدَيْكَ)). قَالَ: لَيْسَ لِي وَالِدَانِ قَالَ: ((بِرَّ وَلَدَكَ)) (المرجع نفسه، 307، حديث رقم 151)، وروي عن الأشجعي، قال: كنا مع سفيان الثوروي فمر ابنه سعيد فقال: ((تَرَوْنَ هَذَا مَا جَفَوْتُهُ قَطُّ وَرُبَّمَا دَعَانِي وَأَنَا فِي صَلَاةٍ غَيْرِ مَكْتُوبَةٍ فَأَقْطَعُهَا لَهُ)) (المرجع نفسه، 319، حديث رقم160).

ثالثًا: الرحمة والرفق واللين: حيث يدعو ابن أبي الدنيا إلى استخدام أسلوب الرحمة والرفق واللين في تربية الأبناء والتعامل معهم، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ((كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَكَانَ يَأْتِيهِ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُدَّخَنُ فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ)) (المرجع نفسه، 338، حديث رقم177)، كما روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقَبِّلُ حُسَيْنًا فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)) (المرجع نفسه، 340، حديث رقم178)، كما روي عن أنس بن مالك

ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا)) (المرجع نفسه، 346، حديث رقم184)، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه التربية في المؤسسات المتعددة، تربية تقوم على الرقة والرأفة والمحبة التي تشعر الأبناء أنهم محبوبون، وأن لهم مكانة في قلوب والديهم، فينعكس ذلك إيجابًا في سلوكهم ومعاملاتهم مع الآخرين.

رابعًا: التحفيز والتشجيع للمتعلم: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن تربية الأبناء يحتاج إلى تحفيزهم وتشجيعهم والدفع بهم نحو الصلاح، والخير، والاستقامة، العمل الصالح، وذلك بدءًا بتعليمهم الصلاة، والمداومة على تأديتها، فقد روي عن محمد بن عبد الرحمن أنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إِذَا بَلَغَ أَوْلَادُكُمْ سَبْعَ سِنِينَ فَمُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا بَلَغُوا عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)) (المرجع نفسه، 465، حديث رقم295)، وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه مر على امرأة وهي توقظ ابنها لصلاة الصبح وهو يأبى فقال: ((دَعِيهِ لَا تُعَنِّيهِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْقِلَهَا)) (المرجع نفسه، 466، حديث رقم296)، كما روي عن فضيل بن مرزوق، قال: قلت لسفيان: أضرب ولدي على الصلاة؟ قال: ((أَجِدُهُ)) (المرجع نفسه، 469، حديث رقم299)، وأن دفعهم نحو تأدية الصلاة وغيرها من صالح الأعمال يحتاج إلى تشجيع وتحفيز على المداومة والاستمرارية، فقد روي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَصُومَ عَاشُورَاءَ فَكُنَّا نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا وَنَعْمَلُ لَهُمُ اللُّعَبَ مِنَ الْعِهْنِ وَنَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا بَكَوْا أَعْطَيْنَاهُمْ إِيَّاهَا)) (المرجع نفسه، 475، حديث رقم 305).

رابعًا: توقير المعلم والمربي: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن التحفيز والتشجيع في التربية لا يقتصر على الأبناء فقط؛ بل لابد أن يشمل المعلم والمربي الذي هو المسؤول والمعين الأول عن تربيتهم، ولذا فإن من واجب المتعلم تجاه معلمه ومربيه أن يوقره، وأن يجله، وأن ينزله المنزلة والمكانة التي تليق به؛ لأن ذلك يعد تحفيزاً وتشجيعًا له على بذل مزيد من العطاء، ومزيد من الجهد والاهتمام بتربيته، ومساعدته على التقوى والاستزادة بالعلوم والمعارف والخبرات، فقد روي عن عبادة بن الصامت أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 367، حديث رقم 147)، وروي عن المثنى بن الصباح عن أبيه عن جدة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الجافي عنه ولا الغالي فيه)) (المرجع نفسه، 367، حديث رقم368)، وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا توسع المجالس إلا لثلاثة: لذي العلم لعلمه، ولذي السن لسنه، ولذي السلطان لسلطانه)) (المرجع نفسه، 368، حديث رقم150).

خامسًا: سعة الصدر وتجاوز الإساءة: حيث يرى ابن أبي الدنيا أن تربية الأبناء تحتاج إلى سعة صدر، وتجاوز عن الإساءات، والصفح عن جهالة الجاهلين، وحمق الغافلين واللاهين، والغافلين عما ينفعهم، فقد روي عن يوسف بن موسى، أنه قال: ((سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ: مَرُّوا عَلَى الْأَعْمَشِ وَحَوْلَهُ فَتَيَانٌ فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى الْأَعْمَشِ قَدْ جَمَعَ حَوْلَهُ الصِّبْيَانَ فَقَالَ: رُدُّوهُمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 803، حديث رقم602)، فقد سخروا من هذا المربي الفاضل (الأعمش)؛ لأنه كبير السن والشأن يجمع حوله الصبيان، وسخروا من أولئك الصبيان لأنهم ليسوا أهلًا لأن يجالسوا الأعمش، ولكن سعة صدر هذا المربي الجليل جعله يتحمل تهكمهم وإساءاتهم بمكارم الأخلاق، فما أكثر أمثال هؤلاء المستهزئين الساخرين الموجودين على مر الزمان، حيث يسخرون ممن يعلم أو يتعلم.

المطلب الثاني: جوانب التربية:

أولًا: الجانب الإيماني: يعد الجانب الإيماني من أهم الجوانب التربوية للمتعلم، باعتباره الأساس الذي تقوم عليه بقية الجوانب التربوية الأخرى، ومن هنا فقد كان اهتمام ابن أبي الدنيا بهذا الجانب واضحًا من خلال تركيزه على تلك المبادئ والقيم التي تشكل في مجملها المفهوم التربوي الحقيقي للإيمان، وهي اليقين، والتوكل على الله، وحسن الظن بالله، والشكر لله، والرضا عن الله، حتى ألف فيها كتبًا ورسائل مستقلة، فقد روى العلاء بن عتبة، أن النبي ﷺ كان يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيَقِينًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي رِزْقًا قَسَمْتَهُ لِي، وَرِضًا مِنَ الْمَعِيشَةِ بِمَا قَسَمْتَ لِي)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 30، حديث رقم26)، وروي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ ﷺ يَقُولُ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))، (ابن أبي الدنيا، 1993، 44، حديث رقم1)، وروي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 11، حديث رقم1)، وروي عن النبي ﷺ قوله: ((لَا يَرْزُقُ اللَّهُ عَبْدًا الشُّكْرَ فَيَحْرِمُهُ الزِّيَادَةَ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7])) (ابن أبي الدنيا، 1993، 11، حديث رقم3)، وروي عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: 11] قَالَ: «هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى» (ابن أبي الدنيا، 1993، 23، حديث رقم 7).

ثانيًا: الجانب العقلي: يؤكد ابن أبي الدنيا أن العقل له مكانته الخاصة، باعتباره مناط التكليف عند الإنسان، وبه كرمه الله ﷻ، وميزه عن سائر المخلوقات، مما جعل ابن أبي الدنيا يفرد له مؤلفًا خاصًا به، سماه "العقل وفضله"، حيث أورد فيه العديد من النصوص الشرعية التي تأصل لمكانة وأهمية العقل والجانب العقلي عند الإنسان، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((كَرَمُ الْمَرْءِ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 3، حديث رقم4)، وروي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عِبَادَةٌ قَالَ: ((كَيْفَ عَقْلُهُ؟)) فَإِنْ قَالُوا: عَاقِلٌ قَالَ: ((مَا أَخْلَقَ صَاحِبَكُمْ أَنْ يَبْلُغَ» وَإِنْ قَالُوا: لَيْسَ بِعَاقِلٍ قَالَ: «مَا أَخْلَقَهُ أَنْ لَا يَبْلُغَ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 14، حديث رقم4)، وروي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: ((مَا أُوتِيَ رَجُلٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنَ الْعَقْلِ)) (المرجع نفسه، 17، حديث رقم16).

ثالثًا: الجانب الأخلاقي: يعد هذا الجانب من أهم الجوانب التربوية التي عنى بها ابن أبي الدنيا، بل يعد فارس علم الأخلاق، فقد جعلها في مقدمة أهداف التربية، وربطها بالجانب الإيماني، وقد ظهر ذلك جليًا في كتبه ورسائله التي تتناول صنوفًا من مكارم الأخلاق، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّهُ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 18، حديث رقم4)، وروي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 14، حديث رقم10)، وروي عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((عَلَى كُلِّ خَلَّةٍ يُطْبَعُ، أَوْ يُطْوَى عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ، إِلَّا الْخِيَانَةَ والكذب)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 278، حديث رقم475).

رابعًا: الجانب الأسري والاجتماعي: يرى ابن أبي الدنيا أن التربية تبدأ من الأسرة، وأن الوالدين هما المسؤولان عن صلاح الأبناء، وقد ألف كتابًا خاصًا بالتربية الأسرية، هو كتاب "العيال" مما يعكس اهتمامه بتربية الأبناء وحقوق الزوجين والأيتام، وكيفية التعامل معهم، فبدأ بالتأكيد على النفقة على العيال، والعدل بين الأولاد والتسوية بينهم، وعقيقة المولود، والإحسان إلى البنات وتزويجهن، والعطف والرأفة والمحبة للأولاد، وتعليم الصبيان الصلاة، والقرآن، وتأديب الأهل، وحقوق الزوجة، ورعاية الأيتام، وغيرها من الموضوعات التي تأصل للجانب الأسري والاجتماعي فقد روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَفَى الْمَرْءَ مِنَ الْإِثْمِ أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ)) (ابن أبي الدنيا، مرجع سابق، 129، حديث رقم1)، وروي عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مُبَاضَعَتُكَ أَهْلَكَ صَدَقَةٌ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيُؤْجَرُ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتَ لَوَ جَعَلَهُ فِي غَيْرِ حِلِّهِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وِزْرٌ؟)). قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: ((فَتُحْتَسَبُونَ بِالشَّرِّ وَلَا تُحْتَسَبُونَ بِالْخَيْرِ؟)) (المرجع نفسه، 574، حديث رقم393).

خامسًا: الجانب الاقتصادي: وهو ما عبّر عنه ابن أبي الدنيا بـ "إصلاح المال"، حيث أكد ابن أبي الدنيا على ضرورة الاهتمام بالاقتصاد، وموضوع المال، من حيث مصادره، وجوانب إنفاقه، والمسؤوليات الأخلاقية التي تقع على عاتق الفرد المؤمن تجاه المال، باعتبار أن المال هو مال الله ﷻ والإنسان مستخلف فيه، ولذلك يجب أن يقوم بحفظ هذا المال، وإنفاقه على

الوجوه التي حددها الله ﷻ، فقد روي أن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ سمع رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: ((مَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)) (ابن أبي الدنيا، 1993، 13، حديث رقم1)، وروي عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْمَلِيحِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ ﷺ يَقُولُ: ((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهُور، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ)) (المرجع نفسه، 16، حديث رقم6).

الخاتمـــة:

توصلت الدراسة في هذه الخاتمة إلى أهم الاستنتاجات والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولًا: الاســـتنتاجات:

1. إن للأمة المسلمة فكرًا تربويًا أصيلًا، صالحًا لكل زمان ومكان، يغنيها عن استيراد أفكار ونظريات تربوية غربية تتناقض مع مبادئ وتعاليم دينها الإسلامي القويم.
2. إن الحافظ ابن أبي الدنيا من علماء الأمة المسلمة السلف الذين كرسوا حياتهم في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، وإصلاح الأمة، ونشر تعاليم وأحكام الإسلام، من خلال التربية والتعليم.
3. إن مفهوم التربية عند ابن أبي الدنيا ينبثق من تلك النظرة الإسلامية الأصيلة التي تقوم على تزكية النفس الإنسانية بكمال الإيمان والأخلاق؛ كي تفوز برضوان الله، وتنجو من عقابه.
4. إن معظم مؤلفات ومصنفات ابن أبي الدنيا لا تكاد تخرج عن المضمون الأخلاقي والرسالة التربوية، الأمر الذي يجعل من الضرورة بمكان البحث عنها للاستفادة منها في بناء النظرية التربوية الإسلامية الأصيلة.
5. إن معظم ما تعاني منه المجتمعات المسلمة من مظاهر الانحراف، والهبوط الأخلاقي، ومظاهر التغريب الثقافي، والتنكر للدين والقيم الأخلاقية، إنما مرده غياب مفهوم التربية الإسلامية الأصيلة التي تقوم على أصول وأسس ومبادئ وأحكام المنهج الإسلامي القويم.
6. إن حالة الضعف، وعدم التوازن، وفقدان المناعة الفكرية والثقافية التي أصابت بناء شخصية المتعلم المسلم، إنما مرد ذلك كله إلى عدم بناء وتنمية جميع جوانبه التربوية بشكل متكامل ومتوازن.
7. إن عدم الاهتمام بالتراث التربوي الإسلامي عند بناء وصياغة المناهج التربوية، قد حرم أبناء هذه الأمة من الانتفاع بالأفكار والآراء التربوية الأصيلة لعلماء الأمة السلف، من أمثال الحافظ ابن أبي الدنيا الذي يعد في صدارة مؤسسي علم الأخلاق في الفكر التربوي الإسلامي.
8. إن عدم تبني مناهج التربية والتعليم لتلك الأفكار والآراء التربوية الأصيلة لعلماء وحكماء وفقهاء الأمة السلف قد أفسح المجال لتبني أفكارًا وآراءً تربوية غربية تتناقض مع تعاليم وقيم ومبادئ التربية الإسلامية الأصيلة.
9. إن من أسباب العجز؛ بل والفشل الذي أصاب كثيرًا من معلمي ومربي مؤسسات التربية والتعليم في تحقيق أهداف العملية التربوية والتعليمية، هو عدم إدراكهم لطبيعة وأهمية تلك الأساليب التربوية الأصيلة التي تضمنها الفكر التربوي لابن أبي الدنيا.

10. إن عدم الاهتمام بالتربية الاقتصادية، والتدبر الاقتصادي في مؤسسات التربية والتعليم، وفي مختلف المراحل التعليمية قد أدى إلى ظهور العديد من الأزمات والمشكلات المالية، التي في مقدماتها نهب المال العام، والتعدي على أموال الغير، والتبذير والإسراف.

ثانيًا: التوصيـــات:

في ضوء تلك الاستنتاجات، توصي الدراسة بالآتي:

1. العودة إلى منابع الفكر التربوي الإسلامي ممثلًا بجهود علماء الأمة عبر مراحل تاريخها؛ لاستخراج تلك الأفكار التربوية الأصيلة التي دونوها في مؤلفاتهم العلمية، التي ما زالت مهملة في أدراج المكتبات؛ للاستفادة منها في إصلاح واقعنا التربوي المتردي.
2. ضرورة التنوع في أساليب تربية الأبناء في مؤسساتنا التربوية، بما يتناسب مع الهدف التربوي المنشود، و– أيضاً– بما يتناسب مع خصائص وسمات هؤلاء الأبناء، حتى تتحقق التربية السليمة لهذا الإنسان الذي أراده الله أن يكون خليفته في أرضه.
3. إعادة صياغة وبناء المناهج لاسيما مناهج التربية الإسلامية في الأنظمة التربوية في المجتمعات المسلمة بما يضمن شمولها لتلك المضامين التربوية المستنبطة من مضامين الفكر التربوي لابن أبي الدنيا، وغيرها من علماء وحكماء وفقهاء الأمة السلف، وتطبيقاتها التربوية في محتواها وبرامجها التربوية والتعليمية والتثقيفية.
4. إعادة هيكلة المؤسسات التربوية التعليمية لاسيما كليات التربية بحيث تكون رسالتها وأهدافها وبرامجها التربوية والتعليمية مستمدة ومستنبطة من مصادر الوحي الإلهي، وتطبيقاتها التربوية المتمثلة في محتوى الفكر التربوي الإسلامي لعلماء وحكماء وفقهاء الأمة السلف.
5. إعادة تحليل وبناء السياسات التربوية في أنظمة التربية في المجتمعات المسلمة في ضوء تلك المضامين التربوية المستنبطة من فكر ابن أبي الدنيا، وغيره من العلماء والفقهاء والحكماء السلف الذين ساهموا في بناء وتطور الفكر التربوي الإسلامي.
6. إنشاء وتكوين جمعيات علمية متخصصة تُعنى بعملية التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف في جميع مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي، وفي الكليات النظرية منها على وجه التحديد.
7. إنشاء وتأسيس دوريات علمية متخصصة في مجال الاستنباطات والدراسات البحثية التربوية المرتبطة بالتراث التربوي الإسلامي، ومتابعة كل جديد في ذلك؛ ليسهل للمختصين والمهتمين في مجال التربية والتعليم الاستفادة من تلك الأبحاث والرسائل العلمية؛ لتضمينها لمناهج الدراسة في التعليم العام والجامعي.
8. إنشاء قنوات اتصال علمية وتربوية بين تلك الجمعيات العلمية المعنية بعملية التأصيل

والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف بالإدارات المعنية بصياغة المناهج والمقررات التربوية والتعليمية، وأيضاً إدارات التوجيه والإشراف التربوي في وزارات التربية والتعليم؛ لضمان تبادل الخبرات فيما بينها، وذلك على مستوى المجتمع اليمني والمجتمعات الإسلامية.

المراجع:

[1] القرآن الكريم

[2] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). الشكر لله ﷻ: تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[3] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1989). مكارم الأخلاق: تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العملية.

[4] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1990). كتاب العيال: تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، الدمام: دار ابن القيم للنشر.

[5] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). إصلاح المال: تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[6] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). التوكل على الله: تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[7] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). الحلم: تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[8] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره: تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[9] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). الصمت وآداب اللسان: تحقيق أبو إسحاق الحويني، بيروت: دار الكتاب العربي.

[10] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). العقل وفضله: تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[11] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). القناعة والتعفف: تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[12] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). حسن بالله ﷻ: تحقيق عبدالحميد شانوحه، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[13] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). ذم الدنيا: تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[14] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي. (1993). كتاب اليقين: تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

[15] ابن أبي يعلى، محمد بن الفراء الحنبلي. (1952). طبقات الحنابلة، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

[16] ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق. (2002). الفهرست: ضبطه وشرحه يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية.

[17] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1970). المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.

[18] ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

[19] ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني. (1979). معجم مقاييس اللغة: تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.

[20] ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر. (د. ت). البداية والنهاية: تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، مصر: مطبعة السعادة.

[21] ابن منظور، محمد بن مكرم. (د. ت). لسان العرب: بيروت: دار صادر.

[22] إسماعيل، محمد محمد (2005)، قراءة في كتاب الفكر الإسلامي: تحقيق عز الدين هشام الموصلي، الأردن: دار الكتاب الثقافي.

[23] أنيس، إبراهيم؛ ومنتصر، عبدالحليم؛ والصوالحي ، عطية؛ وأحمد، محمد خلف الله. (1972). المعجم الوسيط، إستانبول: المكتبة الإسلامية.

[24] البيضاوي، ناصر الدين. (1408هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل: تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[25] الجمالي، محمد فاضل. (1979). تربية الإنسان الجديد، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

[26] حجازي، عبدالرحمن عثمان (1995)، المذهب التربوي عند ابن سحنون، بيروت: المكتبة العصرية.

[27] حميدات، رحاب حسين مصطفى (1994)، الجوانب التربوية في كتاب العيال لابن أبي الدنيا، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن.

[28] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (1349هـ). تاريخ بغداد، مصر: مطبعة السعادة.

[29] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1402هـ). سير أعلام النبلاء: تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة.

[30] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1418هـ). تذكرة الحفاظ: وضع حواشيه زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية.

[31] الراغب الأصفهاني، الحسين بن فضل. (1430هـ) مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم.

[32] الرشدان، عبدالله زاهي. (2004). الفكر التربوي الإسلامي، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

[33] رضا، محمد. (د. ت). معجم متن اللغة، بيروت: دار مكتبة الحياة.

[34] السمعاني: عبدالكريم بن محمد بن منصور. (1408هـ). الأنساب: تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر.

[35] صيداوي، أحمد. (1981). الغزو التربوي الغربي: مجلة الفكر العربي، ع (21)، د. ص.

[36] الغامدي، أحمد سعيد. (1401هـ). العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

[37] فودة، حلمي محمد، وعبدالله، عبدالرحمن صالح. (1410هـ). المرشد في كتابة الأبحاث، جدة: دار الشروق.

[38] قورة، حسين سليمان. (1990). أستاذ الجامعة في الوطن العربي، مجلة التربية، ع (4) السنة الأولى، 89-108.

[39] الكيلاني، ماجد عرسان. (1985). تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دمشق: دار ابن كثير.

[40] الميمان، بدرية صالح عبدالرحمن. (2002). نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها، الرياض: دار عالم الكتب.

[41] النحلاوي، عبدالرحمن. (1995). أصول التربية الإسلامية، دمشق: دار الفكر.